

## الخاتمة

أوضحت الدراسة أن الجاحظ على الرغم من أصله غير العربي (كان من موالي بني كنانة)، ومع ذلك فقد ظهر جليا دفاعه عن الإسلام والعرب تجاه مناهضيهم، وهو يعبر عن حاله في هذا العصر حيث تغيرت فيه معايير الانتماء للعروبة فلم يعد النسب هو الأساس بل غدت الثقافة والفكر والولاء معايير في هذا المجال.

كما عرضت الدراسة دور الواقع السياسي والفكري الذي عاشه الجاحظ في تبلور شخصيته الموسوعية، إذ إن حياته في البصرة متنقلا بين أسواقها وحوانيتها مستمعا للمناظرات الشعرية والمجادلات الفكرية أسهمت في تبلور شخصيته، بعد تتلمذه على كبار رجال المعتزلة أمثال: أبي الهذيل العلاف والنظام، فتأثر الجاحظ بمنهج المعتزلة القائم على تحكيم العقل، وقد لمع الجاحظ في الاعتزال حتى غدا من كبار رجاله. وكان هذا سببا في التقارب بينه وبين السلطة في عهد الخليفة المأمون الذي اتخذ الاعتزال مذهبا لدولته.

كذلك كشفت الدراسة حجم نفوذ الفرس في مختلف مفاصل الدولة العباسية، فعلى الرغم من طموح الجاحظ في القرب من السلطة العباسية التي ولته أرفع دواوينها شأنا (ديوان الرسائل في عهد الخليفة المأمون) إلا أنه اضطر إلى ترك العمل بعد يومين حين أدرك مدى حجم النفوذ الفارسي في دواوين الدولة، ودورهم في تحريك وتأجيج تيار الحركة الشعوبية.

وتمثل موقف الجاحظ المناوئ لحركتي الشعوبية والزندقة من خلال ما كتبه وصنفه في الرد على أفكارها المنحرفة. ولما كانت أنساب العرب وأخلاقهم بغية الشعوبية وهدفها فإن الجاحظ صنف في الدفاع عنها، وبيان شرف النسب العربي، وكريم أخلاقهم، وتأكيدا على ذلك فقد جعل -في الوقت نفسه- أبطال قصصه في كتاب البخلاء من العجم. وقد كان للدور الذي لعبه الجاحظ في هذا المجال سبب في حفظ تراثه، مقارنة بتراث المعتزلة الذي تعرض في معظمه إلى التلف في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

أيضا حددت الدراسة بعض ملامح منهج الجاحظ في الكتابة (التاريخية) والتي من أبرزها تقديم العقل على النص، وعدم اهتمامه بالإسناد، أما منهجه في الروايات فلا يأخذ نسقا واحدا من حيث الطول والقصر اعتمادا على طبيعة الموضوع الذي يعالجه. ويعد الاستطراد سمة غالبة على منهج الجاحظ معللا ذلك برغبته في إبعاد السأم والضجر عن القارئ.

كما أكدت الدراسة أن مبدأ الحياد الذي نادى به الجاحظ في أكثر من موضع لم يلتزم به في تناوله بعض الروايات التاريخية، وخاصة تلك المتعلقة بتاريخ بني أمية السياسي، فنجد

كتاباته خلال الفترة من عام ١٩٨هـ / ٨١٣م. تاريخ التحاقه بخدمة المأمون الذي كان قد أعجب بفكره بعد اطلاعه على رسالته في (وجوب الإمامة) فقربه وجعله منبرا إعلاميا للدفاع عن الدولة العباسية، فكانت كتاباته حول بني أمية -بشكل عام- خلال هذه المرحلة تتسم بالتنقيص والتشنيع والطعن، وقد استمرت هذه الحالة حتى الانقلاب السياسي الذي حدث في عهد الخليفة المتوكل عام ٢٣٢هـ /٨٤٦م والذي كان من أبرز إجراءاته إبطال القول بخلق القرآن، وإبعاد المعتزلة عن السلطة والنفوذ، إضافة إلى اتباعه سياسة تعتمد على الكتاب والسنة. لقد كان لذلك أثره في موقف الجاحظ وتوجهاته الفكرية، فقد شعر بعدم الحاجة إليه فعاد ليستقر بالبصرة، متحررا من التزاماته السياسية تجاه الدولة العباسية. فقد تغيرت فيه كتاباته نحو الأمويين بسبب تغير التوجه السياسي فخلت كتاباته من التشنيع على بني أمية، كما خلت عباراته من مديح مذهب المعتزلة، ومدح بني العباس إلا ما ندر.

وأظهرت الدراسة أن ميل الجاحظ السياسي نحو العباسيين أوقعه في تناقض مع كثير من مبادئ مذهبه المعتزلي، وخاصة قضية التوريث فعلى الرغم أنه قد عابها على بني أمية، وانتقد ما فعله معاوية من توريث ابنه يزيد إلا أنه جوز ذلك لبني العباس "من باب مصلحة الأمة".

وختاما فإن الباحث سعى في هذه الدراسة الكشف إلى عن شخصية الجاحظ وفكره وميوله السياسية وأثرها في كتاباته ومواقفه من التطورات السياسية والتيارات الفكرية في العصر العباسي. وتُوصي الدراسة بالتركيز في الدراسات المستقبلية على تناول الجوانب الاقتصادية والاجتماعية خلال العصر العباسي من خلال مدونات الجاحظ وخاصة التي ما زالت مخطوطة أو نشرت حديثا.. والله اسأل التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.